بحث في الصـــلاة

للدكتور جواد علي

بين يدي رسالة للمستشرق اليهودي المعروف المرحوم أويكين ميتوخ (Eugeen Mittwoch) بحث فيها عن الصلاة عند المسلمين وقارن بينها وبين الصلاة عند اليهود . وقد أجهد المستشرق نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدها قبل الدخول في الموضوع ، هي أن الرسول الكريم أخذ صلاته من صلاة اليهود كما أخذ سائر الطقوس والعبادات[1] .

وبين يدي أيضاً بعض الأبحاث العلمية التي قام بها نفر من المستشرقين في نفس هذا الموضوع ، أي تطور الصلاة ونشوء العبادات في الإسلام ، كبحث المستشرق المجري اليهودي كولدزهير (Goldzyiher) وبحث المستشرق الهولندي جوينبول (Juynbole)[2] وأبحاث المستشرق المرحوم بيكر (Becker)[3] وهي تسير على نفس الأسلوب ولكنها تختلف في النتائج . إذ من رأي هؤلاء أن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ صلاته وعباداته عن النصارى لا اليهود .

وبالنظر إلى ما في أبحاث هؤلاء المستشرقين من أمور لا تقرها الحقيقة رأيت أن أكتب في هذا الموضوع ، وأن أقارن بين الصلاة في الإسلام وبين الصلاة في اليهودية خاصة ، لكونها أساس الصلاة عند المسيحيين فأقول :

أجمعت المذاهب الإسلامية قاطبة على أن هنالك خمس صلوات مفروضة في اليوم ، وأجمعت كذلك على عدد الركعات ؛ فصلاة الصبح ركعتان ، وصلاة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات إلا صلاة المغرب فإنها ثلاث ركعات[4] .

ولم تختلف المذاهب الإسلامية قديماً وحديثاً في الشكل الأساسي للصلاة ولا في هيكلها وكيفيتها ، وإنما اختلفت في مسائل فرعية طفيفة لا علاقة لها بالوضع العام للصلاة . فطريقة الركوع والسجود واحدة بين الجميع ، وعدد الركعات ثابت كما قلنا ، والاتجاه نحو القبلة واجب لا خلاف فيه . وأما فيما عدا ذلك مثل الجهر بالقراءة أو الإخفات ، وإسبال اليدين في الصلاة أو « التكتيف » فوق السرة أو تحتها ، وجواز القنوت أو عدم جوازه ، ورفع السبابة في التشهد أو عدم رفعها وإدارة الرأس نحو اليمين واليسار حين السلام أو عدم ذلك ، ثم الحد الأدنى للآيات التي يجب قراءتها في الصلاة ، وأمثال ذلك ، فإن كل هذه لا تؤثر على هيكل الصلاة وشكلها كما قلنا ويكاد يصعب على غير المسلم تمييز هذه النقاط

« والصلاة هي الدعاء وعبادة الله الرحمن الرحيم بأقوال وأفعال ونظام وترتيب جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واتبعه الصحابة وفسره أئمة الدين الذين تفرغ كل منهم لوصف ما وصل إليه وتمحيصه من صحيح العلم ودقيق العمل كما كان عن النبي صلى الله عليه وسلم وما فعل الصحابة الذين عاصروه وقاموا باتباع ماجاء به .. ولكم في رسول الله أسوة حسنة ... »[1] .

والصلاة مظهر من مظاهر تعلق الفرد بخالقه وواجب من واجبات الإنسان الدينية والانفرادية والاجتماعية في كل الأيام وعند جميع الشعوب وهي التكلم مع الله وطلب ما يحتاج إليه الإنسان مع الشكر لأجل المراحم الإلهية[2] . ففي الصلاة إذاً عنصران : عنصر الشكر للاله ومدحه وتبجيله على عظمته وبديع صنعه ؛ وعنصر الطلب من الله القوي القهار الذي يسأل فيجيب

وهي فرض في الإسلام واجب لأنها ركن من أركان الدين ولأنها « مفتاح من مفاتيح الجنة »[3] والصلاة عماد الدين[4] جاء في القرآن الكريم « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون »[5] وجاء في القرآن الكريم أيضاً « ما سلككم في

(١) راجع بحثه المقدم إلى الأكاديمية الملكية البروسية سنة ١٩١٣ بعنوان تطور الصلاة الاسلامية وطقوسها .

(٢) راجع بحث (Juynboll) الذي طبعه في مدينة ليدن الهولندية عام ١٩١٠ بعنوان Handboak of tte Jslamic law .

(٣) راجع أبحاثه في مجلة (الاسلام) السنة الثالثة ج ٤ عن رأي المستشرق المجري راجع كتابه « دراسات إسلامية » ج١ ص ٣٥ .

(٤) راجع كتب الفقه في بحث الصلاة على اختلاف المذاهب مثل كتاب الوضع لأبي زكريا الجناوني يحيى بن الخير (القاهرة) المطبعة البارونية ١٣٠٥هـ ، وكتاب النيل وشفاء العليل لعبد العزيز إبراهيم المصعبي ، وكتاب شرح النيل وشفاء العليل للاطفيشي وهي على مذهب الأباضية .

(١) راجع كتاب الاسلام لسعيد لطفي حسن . القاهرة سنة ١٩٣٢ ص ٢٣٨ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ١٢ . طبعة الجمعية البروتستانية Hastings. Dictionary of the Bible P, 744 .

(٣) كنز العمال ج ٤ ص ٦٤ . نمرة ١٠٤٩ . mittwoch. P, 5 .

(٤) كنز العمال حيدر آباد ١٣١٣ ج ٤ ص ٢٢ نمرة ١٢٠٦ .

(٥) القرآن الكريم .

سقر؛ قالوا لم نكن من المصلين ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين»[١] وجاء عن النبي (ص) أنه قال «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً»[٢] وجاء أيضاً « من ترك الصلاة متعمداً أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله توبته »[٣] . فالصلاة إذاً فرض واجب على كل مسلم ؛ من تركها متعمداً فهو ليس بمسلم[٤] وعد كافراً وجازقتله[٥]. وفى الكتب التى أرسلها الرسول إلى القبائل العربية ذكر للصلاة بعد الإيمان[٦] وفى الحديث « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »[٧]

والصلاة فى الأصل الدعاء والرحمة والاستغفار والبركة[٨] ثم خصصت لنوع معين من أنواع العبادات فيها ركوع وسجود وحركات معينة وقواعد ثابتة لا تتأثر بإرادة المصلى ولا برغبته وميوله ولا بالوقت الذى يريده إذا كانت الصلاة مفروضة واجبة[٩] وللصلوات شكل معين معلوم وإن لم يعينه القرآن إلا أنه معين باتفاق الصحابة والمذاهب الإسلامية عليه .

ثم إن الصلوات اليومية الخمس تؤدى فى أوقات معينة معلومة لا يمكن المصلى أن يتخطاها وإلا اعتبر مقصراً وأصبحت صلاته باطلة . وأما الدعاء فإنه يكون فى أى وقت كان وفى أى صورة يريدها المتضرع ؛ فهو لا يتقيد بقيود ولا يتعين بشكل خاص ولا يكون فى الصلاة إلا فى مواضع معينة مخصوصة .

(١) قرآن الكريم .
(٢) الاسلام ص ٢٤٠ .
(٣) الاسلام ص ٢٤٠ .
(٤) الاسلام ص ٢٤٠ . mittwocb. P, 5.
(٥) الشيرازى تنبيه طبعة (Juynball) ص ١٥ ، ٥ .
(٦) راجع الكتب التى أرسلها الرسول إلى القبائل العربية بعد إسلامها . mittwocb. P, 5.
(٧) فى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدى ج ١ ص ١٣ « شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله وإقام صلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس » وفى ج ١ ص ٨ « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .
(٨) قاموس ج ص ٣٠٢ . لمصباح المنير ج ١ ص ٥٣ . المطبعه الأميريه بمصر ١٩١٠
(٩) mittwocb. P, 6. .

وكلمة « صلاة » آرامية فى الأصل ثم استعملها اليهود فأصبحت لفظة آرامية عبرية[١] دخلت اللغة العربية عن طريق اليهود أو المسيحيين[٢]. استخدم اليهود هذه الكلمة (صلوتة) (Salûte) فى الأزمنة المتأخرة من عهد التوراة حتى أصبحت كلمة مألوفة ذات معنى دينى خاص[٣]. وفى القاموس «والصلوات كنائس اليهود وأصله بالعبرانية صلوته »[٤] ومن جملة الصلاة «الدعاء» إلا أن «الدعاء» فى الاسلام هو الابتهال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من خير . ويقابل لذلك فى العبرية كلمة «تحنونيم» ومعناها التضرعات والدعاء ! وأما الصلاة التى هى ركوع وسجود فإنها تقابل لفظة «تفلوت» التى تعنى صلوات[٥] قبل أن تخصص الصلاة عند اليهود بكلمة « صلوته » الآرامية فى عهود التوراة المتأخرة[٦] .

والذى لاحظه المتتبعون أن الشعوب القديمة حتى البربرية منها كانت تقوم بفروض دينية يصح أن نطلق عليها لفظة «صلاة»[٧] ومن بين ما عثر عليه المنقبون بعض النصوص القديمة التى كان يقرؤها الأشوريون والبابليون فى الصلاة[٨] . والصلاة عادة طقوس خاصة وشرائط لابد منها ؛ وبدون هذه الشروط تكون الصلاة باطلة غير مقبولة مثل ضرورة الغسل وشروط الملابس والبخور والوضع فى المعبد وما يجب على المرء أن يقوم به أثناء الصلاة وهى تختلف باختلاف الأمم وعقليات الشعوب .

وقد لعبت الصلاة فى العصور الوثنية دوراً هاماً . اعتقد الوثنيون أن المرء متى أحسن أداء الصلاة وقرأ النصوص التى لابد منها كما هى مكتوبة وقام بجميع أركان الصلاة وناجى آلهته فى صلاته بأسمائها الصحيحة فإن الآلهة تلبى طلب المصلى لا محالة وتجبر على إجابة رغباته حتما[٩] .

(١) mittwoch. P, 6. .
(٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر أيضا بحث المستشرق كولدزهير بعنوان دراسات إسلامية ج ١ ص ٣٥ .
( ) القاموس ج٤ ص ٣٠٣ .
(٥) mittwoch. P, 6. .
(٦) نفس المصدر .
(٧) راجع Encyclopeledia Britanicta art Prayer .
(٨) The Religions of the East P, 17 .
(٩) The old Persian Religion. 1920 P. 22 .

وفى اســتطاعة المصلى أيضاً إذا ما كرر الكلمات المقدسة فى صــلاته طرد الأرواح الخبيثة والعوالم الشريرة عنه بل وفى المصلى استخدام الأرواح العليا لقضاء مصالحه وطلباته ولتنفيذ رغباته فيما إذا أحسن المصلى أداء الصلاة . جاء فى ياسنا من دين زرادشت « وبواسطة صلاتى هذه يا مزدا (Manydâh) أرجو منك طرد الأرواح الشريرة والخبائث »[1] .

ومن الأمور التى تهتم بها الشعوب فى صلاتها مسألة عدد الصلوات اللازمة على كل إنسان وتعيين أوقات الصلاة بالضبط ليتسنى لكل مؤمن أداء الفرائض فى أوقاتها ومواقيتها . وقضية الوقت هى قضية مهمة جداً فإن لم تعين أوقات الصلاة وتضبط التبس الأمر على المؤمن وحار ، لذلك ارتبطت مواعيد الصــلاة بالصلاة منذ صلى الإنسان الأول . وبالنظر إلى عدم معرفة الإنسان طريقة فنية لضبط الأوقات ، وبالنظر إلى عقيدة تقديس الأجرام السماوية والانصراف إلى عبادتها ربط الإنسان أوقات صلاته بأوقات ظهور الأجرام السماوية ؛ ولا سيما الكبيرة منها ، وأعنى بذلك الشمس والقمر ؛ لأن عقلية الإنسان الابتدائى تميز هذين الجرمين لكبرهما عن الأجرام الأخرى بسهولة ، ولذلك كان الشروق والغروب ووقت الزوال أحيانا من أوقات الصلاة المفروضة لدى غالبية الأمم والقبائل والشعوب[2] .

وحتمت الديانات الآرية القديمة والسامية منذ أقدم الأزمنة على الإنسان الصلاة فى أوقاتها ، فمن الواجبات الدينية على كل رجل من أتباع زردشت بلغ سن التكليف الدينى[3] أن يصلى ثلاث مرات فى اليوم صباحاً وعصراً ووقت العشاء (المغرب) وعليه فضلا عن ذلك صلاة (Ashewvohu) وهى الصلاة التى يجب على كل رجل أداؤها حين ذهابه إلى الفراش لأجل النوم ، وبعد نهوضه من النوم مباشرة[4] .

(البقية فى العدد القادم) **هوار على**

(١) راجع Persian. Religèan P, 23 .

(٢) راجع الكتب المؤلفة فى تاريخ الأديان Yasna. 33,4 .

(٣) The ald Persiau Religian. P, 124 nirangastau 31, . ويقبل الفرس اليوم الطفل الفارسى فى المجمع الدينى متى بلغ السابعة من العمر . راجع Zend. av 2. 243 .

(٤) Shâyast 7. 1. The old Pers Rel P, 124

المكتبة أنمى ما فى البيت من أثاث

ولجنة النشر للجامعيين

تفخر بأنها أضافت إلى المكتبة العربية أقوى نماذج القصة

الأستاذ المازنى		الأستاذ باكثير		الأستاذ عادل كامل	
	قرشا		قرشا		قرشا
إبراهيم الكاتب	٢٥	سلامة القس (طبعة ثانية)	١٥	صليم الأكبر	٢٠
ثلاثة رجال وامرأة	٢٥	والإسلام	١٥	ملك من شعاع	١٥
ع الماشى	١٥	الفرعون الموعود	١٥	ديك عنتر (نقد)	١٠

الاستاذ نجيب محفوظ		الأستاذ عبد الحميد السحار			
	قرشا		قرشا		قرشا
رادوبيس (نقد)	١٠	أبو ذر الغفارى (طبعة ثالثة)	١٥	عشاق العرب	١٥
كفاح طيبة	١٥	بلال مؤذن الرسول (نقد)	١٥	محمد رسول الله	١٥
خان الخليلى	قريبا	فى الوظيفة (نقد)	١٥	عطر ودخان (نقد)	١٥
				الأطياف الأربعة	١٥
				مرايا الناس	١٥
				الشىء الصغير	٢٥

تطلب من مكتبة مصر ومطبعتها ٦٣ شارع الفجالة